معالم الرحمة في الدعوة إلى الله في القرآن الكريم
"مع سورة الأعراف أنموذجاً"

بحث مقدم إلى مؤتمر (الرحمة) المنعقد في جامعة الملك سعود

أ. د. خالد بن عبدالله بن عبدالعزيز القاسم

مقدمة:

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .. أما بعد:

أهمية البحث:

الدعوة إلى الله سبيل الأنبياء وأتباعهم ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨] وهي مهمة أمة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

والدين إنما يقوم بالدعوة إليه، والدعوة إلى الله إذا قامت كما يجب تأتي بالخير للبشرية جمعاء، وإذا قامت على خلاف منهج الله فإن آثارها تكون عكسية وتكون صداً عن سبيل الله.

ومنهج الدعوة يؤخذ من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن سمات الدعوة إلى الله التي ينبغي أن تكون في الدعاة دعوتهم الرحمة التي هي رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

هدف البحث:

يهدف البحث إلى إظهار معالم الرحمة في الدعوة إلى الله في القرآن عموماً مع أخذ سورة الأعراف أنموذجاً وما في السنة من المعاني القريبة.

منهج البحث:

سأنهج في البحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي من القرآن الكريم لآيات الرحمة في الدعوة إلى الله وما تيسر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الدراسات السابقة:

الدراسات السابقة لا تحصى في أهمية الرحمة في الدعوة إلى الله في الكتاب والسنة أو ضمن صفات الأنبياء وخاصة النبي صلى الله عليه وسلم أو صفات الدعاة، وفي هذا البحث سأقتصر على معالم الرحمة في القرآن في الدعوة إلى الله مع سورة الأعراف أنموذجاً وهو لم يأت في الدراسات التي رأيتها واطلعت عليها.

مشكلة البحث:

تتكرر آيات الرحمة في القرآن الكريم لا سيما في موضوع الدعوة إلى الله مع إعراض بعض الدعاة عن ذلك في دعوتهم.

ويأتي هذا البحث لبيان أهمية الرحمة في القرآن الكريم وبيان معالمها، مع سورة الأعراف أنموذجاً.

خطة البحث:

تمهيد في معاني الرحمة والدعوة إلى الله.

المبحث الأول: معالم الرحمة في الدعوة إلى الله في القرآن الكريم.

المطلب الأول: الرحمة في صفات الله في القرآن الكريم وصلته بالدعوة.

المطلب الثاني: الرحمة في ترغيب المخالفين في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: وصف القرآن الكريم وبعض الكتب السماوية بالرحمة والهداية.

المطلب الرابع: رحمة الأنبياء في القرآن الكريم.

المطلب الخامس: رحمة النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب السادس: رحمة الدعاة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: معالم الرحمة في الدعوة إلى اللهفي سورة الأعراف أنموذجاً.

تمهيد:

معنى الرحمة:

الرحمة في اللغة: الرقة والتعطف[١].

الرحمة تقتضي الإحسان إلى المرحوم[٢].

وهي رقة في النفس تبعث على سوق الخير لمن تتعدى إليه[٣].

ومنها الرحم لأن منها ما يكون يرحم ويرق له من ولد[٤].

وهي بين الزوجين ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢١].

وأعظم رحمة تعريف الناس بربهم وخالقهم وإنقاذهم من الضلال إلى الهدى والنجاة من عذابه في الآخرة بل إسعادهم في الدنيا والآخرة.

كما أن المعرضين عنه المكذبين له الصادين عنه المقاتلين له يأمر الله بالشدة معهم وقتالهم وهذا فيه معنى من معاني الرحمة من حماية الدين وقهر الكفار حتى يدخلوا في الدين وتبيين لهم حقائقه..

"وغاية الصراع في الإسلام هي هداية البشرية ودلالتها على سعادتها في الدنيا والآخرة، وترغيبها في الخضوع لربها، وأن تعبده سبحانه وتعالى كما شرع. وأن تنبذ العداوات ويسيطر الحب والإخاء على قلوب الناس، وغاية الصراع عند أعداء الحق هي تحطيم البشرية وإضلالها عن الحق، وتجهيلها بربها، وتجهيلها بآخرتها دار القرار التي هي صائرة إليه، وإفشاء العداوات والأحقاد والفتن"[٥]. وهذا غاية الرحمة.

معنى الدعوة:

الدعوة في اللغة مأخوذة من الدعاء وهو النداء. وتطلق في اللغة على التداعي ودعوة العرس ودعاء الله والزعم والرغبة والطلب، والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، والمؤذن داعي الله والنبي صلى الله عليه وسلم داعي الأمة إلى توحيد الله وطاعته، والدعوة قد تكون للحق أو للباطل ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ ﴾ [الرعد: ١٤][٦].

الدعوة إلى الله اصطلاحاً:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله،

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري، ٥٠/٥. لسان العرب، ابن منظور، ٢٣٠/١٢. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤٩٨/٢. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص٨١٧.

(٢) انظر: مفردات اللغة، الراغب الأصفهاني، ٣٤٧/١.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٤٩٨/٢٦.

(٤) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤٩٨/٢.

(٥) الصراع بين الحق والباطل كما جاء في سورة الأعراف، عادل محمد صالح.

(٦) تهذيب اللغة، الأزهري، ١٢٢/٣. لسان العرب، ابن منظور ٢٦٨/٥.

بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله)[1].

وقيل: (السعي لدعوة الناس بالقول والعمل إلى الإسلام، وإلى تطبيق منهجه واعتناق عقيدته وتنفيذ شريعته)[2].

والدعوة تشمل دعوة الكفار إلى الإسلام، وكذلك دعوة المسلمين إلى أحكام الصلاة ونحوها، ولذا فالأذان هو دعوة للمسلمين، فعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة)[3].

"والمقصود بالرحمة في منهج دعوة الإسلام اشتمال الدين الإسلامي الحنيف على الرحمة والعطف بالخلق ودعوتهم بكل مسلك فاضل ومنهج الدعوة يشتمل على حقيقة الرحمة سواء في محتواه أو في طريق نشره"[4].

أهمية الدعوة وفضلها:

وفضل الدعوة إلى الله عظيم ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣]

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً)[5].

والدعوة وبلاغ الدين وظيفة الأنبياء وأتباعهم، يأمر الله سبحانه وتعالى فيه النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

والدعوة في أقل أحوالها فرض كفاية على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وقد تتعين أحياناً عند وجود النقص وعدم الكفاية، قال ابن باز رحمه الله: دلت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله عز وجل، وأنها من الفرائض، والأدلة في ذلك كثيرة، منها قوله سبحانه ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] ومنها قوله جل وعلا ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل: ١٢٥] ومنها قوله عز وجل ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب الشيخ عبدالرحمن بن قاسم، ١٥٧/١٥.

(٢) انظر: الدعوة إلى الله، توفيق الواعي، ص١٧.

(٣) رواه البخاري، كتاب الآذان، باب الدعاء عند النداء، برقم (٦١٤).

(٤) منهج الدعوة إلى الله في القرآن والسنة، راجح السباتين، من موقعه على الإنترنت.

(٥) رواه مسلم ، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، برقم (٢٦٧٤).

مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [القصص: ٨٧] ومنها قوله سبحانه ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾ [يوسف: ١٠٨] فبين سبحانه أن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم هم الدعاة إلى الله، وهم أهل البصائر، والواجب كما هو معلوم هو اتباعه، والسير على منهاجه عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١] وصرح العلماء أن الدعوة إلى الله عز وجل فرض كفاية بالنسبة إلى الأقطار التي يقوم فيها الدعاة، فإن كل قطر وكل إقليم يحتاج إلى الدعوة وإلى النشاط فيها، فهي فرض كفاية إذا قام بها من يكفي سقط عن الباقين ذلك الواجب، وصارت الدعوة في حق الباقين سنة كفؤة، وعملاً صالحاً جليلاً.

وإذا لم يقم أهل الإقليم أو أهل القطر المعين بالدعوة على التمام، صار الإثم عاماً، وصار الواجب على الجميع، وعلى كل إنسان أن يقوم بالدعوة حسب طاقته وإمكانه، أما بالنظر إلى عموم البلاد، فالواجب: أن يوجد طائفة منتصبة تقوم بالدعوة إلى الله جل وعلا في أرجاء المعمورة، تبلغ رسالات الله، وتبين أمر الله عز وجل بالطرق الممكنة، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بعث الدعاة، وأرسل الكتب إلى الناس، وإلى الملوك الرؤساء ودعاهم إلى الله عز وجل"[(١)].

فالمسلم يدعو إلى الله على بصيرة، ولا يشترط أن يكون من العلماء، إنما يكفي أن يدعو بما يعلم أنه حق، فيدعو إلى لا إله إلا الله وإلى الصلاة وإلى الخير كما قال سبحانه ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر: ١-٣].

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع مخاطباً أكبر جمع رآه، والخطاب لجميع من آمن به، ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه[(٢)].

وفي صحيح البخاري عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (بلغوا عني ولو آية)[(٣)] وكان من مع النبي صلى الله عليه وسلم يتحول إلى الدعوة من أول يوم كالصديق رضي الله عنه والطفيل الدوسي[(٤)].

---

(١) انظر: موقع الشيخ ابن باز بعنوان: حكم الدعوة إلى الله. وانظر أيضاً: مجلة البحوث الإسلامية، الصادرة عن الرئاسة العامة للبحوث والعلمية والافتاء بالسعودية عدد محرم ١٣٩٨هـ.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: رب مبلغ أوعى من سامع، برقم (٦٧). ومسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (١٦٧٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، برقم (٣٤٦١).

(٤) انظر قصته ص١٨ من هذا البحث.

المبحث الأول

معالم الرحمة في الدعوة إلى الله في القرآن الكريم

المطلب الأول: الرحمة في صفات الله في القرآن الكريم وصلته بالدعوة:

الرحمة من أعظم صفات الله، والله سبحانه وتعالى هو أول داعي ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾ [يونس: ٢٥] ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٢١] ﴿يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ [إبراهيم: ١٠] وهو سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم، جاءت في أكثر آية ترددت في القرآن الكريم، وهي البسملة ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١﴾ [الفاتحة: ١] وفي الفاتحة التي تتردد في كل ركعة من ركعات الصلاة.

والداعي يدعو إلى الله الرحمن الرحيم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر[١]. وقال ابن كثير: والرحمن الرحيم اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ورحمن أشد مبالغة من رحيم، وفي كلام ابن جرير ما يفهم منه حكاية الاتفاق على هذا[٢].

والرحمن لجميع الخلق، وقد عبر سبحانه وتعالى في استوائه على العرش وهو أعظم مخلوقاته بالرحمن ليعم جميع خلقه، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه: ٥] والرحيم بالمؤمنين قال سبحانه: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾ [الأحزاب: ٤٣] فخصهم باسمه الرحيم[٣].

فرحمة الله وسعت كل شيء، وهي شاملة لجميع خلقه ومنهم الكفار، ولنتأمل بعض الآيات الكريمة في سعة رحمة الله؛ قال سبحانه ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦] ويقول سبحانه مبيناً سعة رحمته في دعاء ملائكته ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ [غافر: ٧]. فبدءوا بالرحمة.

والرحمة وردت في القرآن الكريم في أكثر من (٤٠٠) موضع[٤].

وفي الدعوة إلى التوحيد ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾ [البقرة: ١٦٣] ترغيباً لهم.

والله عز وجل هو الذي كتب على نفسه الرحمة ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ﴾ [الأنعام: ١٢] ورحمة الله

---

(١) انظر: تفسير القرطبي، ١/١٠٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/١٢٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/١٢٦.

(٤) وبحسب البحث في معجم المصحف عن كلمات الرحمة؛ وجد: رحيم: ١١٥، رحمة: ٢٠١، راحم: ٦، غير الرحمة في البسملة ١١٢ مرة دون الفاتحة كل مرة احتوت على كلمتين، ليكون الإجمالي ٣٢٢ + ١١٢ = ٤٣٤ مرة.

سبقت غضبه سبحانه، فعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن رحمتي سبقت غضبي)[1] والله يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الحجر: ٤٩].

فالله سبحانه وتعالى هو أرحم الراحمين.

﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف: ١٥١].

﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف: ٦٤].

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف: ٩٢].

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [المؤمنون: ١١٨].

والإسلام والهداية من رحمة الله ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [الفتح: ٢٥] ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾﴾ [الشورى: ٨] ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان: ٣١].

ورحمة الله هي سبب نجاة الإنسان وهدايته ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [البقرة: ٦٤]. ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ [النساء: ١١٣].

وفضل الله ورحمته هي سبب هداية البشرية وعصمتها من الشيطان ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣].

وهي خير من كل شيء ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣٢].

ورحمة الله لا ممسك لها ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ٢]

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها وأخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة»[2].

---

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، برقم (٧٤٢٢).

(٢) رواه مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، برقم (٢٧٥٢).

المطلب الثاني: الرحمة في ترغيب المخالفين في القرآن الكريم:

المتأمل لآيات القرآن الكريم إنه سبحانه وتعالى يعرض برحمته سبحانه وتعالى للكفار والعصاة لترغيبهم في التوبة والدخول في رحمة الله سبحانه في آيات كثيرة، ومن ذلك تأتي رحمة الله في ترغيب الكفار للإسلام والتوبة ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٢﴾ [البقرة: ١٩٢].

ومع أهل الكتاب ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣﴾ [المائدة: ٧٣] جاء بعدها ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٤﴾[المائدة: ٧٤].

ويأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمخاطبة أسرى الكفار ودعوتهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾ [الأنفال: ٧٠].

وفي قصص الأنبياء ودعوة أقوامهم في سورة الشعراء، تتردد الآيات الكريمات ثماني مرات[1] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٩﴾ [الشعراء: ٩] فهو سبحانه مع عزته وغلبته إلا أن رحمته باقية سبحانه في ثمان آيات بنفس اللفظ.

ومع الأعداء من الأزواج والأولاد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾ [التغابن: ١٤] ومع ذلك يأتي التوجيه الرباني ﴿وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٤﴾ [التغابن: ١٤].

وفي دعوة المكذبين ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَلَا تَمۡلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٨﴾ [الأحقاف: ٨] وفي الرد على المفترين.

وفي خطاب المكذبين ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥﴾ [الفرقان: ٥] يأتي التوجيه الرباني ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٦﴾ [الفرقان: ٦]. ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٤﴾ [الفتح: ١٤] يأتي الترغيب بعد الترهيب.

وفي دعوته للكفار يكرر سبحانه صفة الرحمن في آيات عديدة، ليتعرضوا لرحمته بالتوبة، وهي آيات دعوة ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءم بَصِيرٌ ١٩ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ٢٠﴾ الملك: ١٩-٢٠

(١) انظر سورة الشعراء الآيات: ٩ / ٦٨ / ١٠٤ / ١٢٢ / ١٤٠ / ١٥٩ / ١٧٥.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٦]. ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٢].

ومع المنافقين ﴿ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٤].

وهذا التوجيه الرباني للنبي صلى الله عليه وسلم في دعوته للمكذبين من اليهود ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٧] فهو سبحانه يجمع بين الترغيب والترهيب، ومع أنهم يكذبونه إلا أن الله يأمره أن يخبرهم بسعة رحمة الله تعالى.

وها هو يرغب أهل الكتاب في دعوتهم إلى الإيمان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحديد: ٢٨] جاءت الرحمة والمغفرة في هذه الآية الكريمة.

وها هو المولى سبحانه في معرض تهديده للكفرة الصادين عن سبيل الله المعذبين المؤمنين بالنار يدعوهم إلى التوبة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البروج: ١٠].

يقول الحسن البصري رحمه الله: انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة[1].

المطلب الثالث: وصف القرآن الكريم وبعض الكتب السماوية بالرحمة والهداية:

كتب السماء متضمنة للرحمة، وسبب نزولها هو رحمة الله بالناس، وقد ضمن سبحانه سور القرآن الكريم بالبسملة ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴾ [الفاتحة: ١].

المتأمل لكلام الله تعالى يجد اقتران الهداية بالرحمة في آيات عديدة، ولا شك أن هذا المنهج يبين أهمية الرحمة في بيان الهدى وأكثر ما ورد في ذلك الكتب التي أنزلها الله فهي نور ورحمة للناس وهي رحمة بهم تخرجهم من الظلمات إلى النور، قال سبحانه وتعالى عن التوراة ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٤] ويقول ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٤] ويقول ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ ﴾ [هود: ١٧] والقرآن رحمة ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٢] ويقول: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٢] ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [القصص: ٨٦].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٠٧/٧.

بل إنه سبحانه وتعالى يصف آيات القرآن ﴿الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣﴾ [لقمان: ١-٣]. ﴿أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ۝١٥٧﴾ [الأنعام: ١٥٧].

قال الزجاج أي هاديا ذا رحمة[1]، قال سبحانه وتعالى ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٢٠٣﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

﴿فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٢٠٣﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٧﴾ [يونس: ٥٧].

﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝١١١﴾ [يوسف: ١١١].

﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٦٤﴾ [النحل: ٦٤].

﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ۝٨٩﴾ [النحل: ٨٩].

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ۝٧٦ وَإِنَّهُۥ لَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٧٧﴾ [النمل: ٧٦-٧٧].

قال سبحانه وتعالى: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٢٠﴾ [الجاثية: ٢٠].

القرآن عبر عنه سبحانه بأنه تنزيل منه بصفة الرحمة ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾ [فصلت: ١-٣].

وذكر الرحمن الرحيم عند ذكر تنزيل الكتاب يشير إلى الصفة الغالبة في هذا التنزيل وهي صفة الرحمة. وما من شك أن تنزيل هذا الكتاب جاء رحمة للعالمين، رحمة لمن آمنوا به واتبعوه، ورحمة كذلك لغيرهم لا من الناس وحدهم،

(١) انظر التفسير المنير، وهبة الزحيلي، (٨/٢٢٦) .

ولكن للأحياء جميعاً، فقد سن منهجاً ورسم خطة تقوم على الخير للجميع وأثر في حياة للبشرية[1].

وفي سورة الرحمن ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ ﴾ [الرحمن: ١-٢].

والقرآن العظيم ﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ ﴾ [فصلت: ٢].

وجاءت رحمته سبحانه بمعنى الهداية، قال سبحانه وتعالى: ﴿ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦ ﴾ [الشورى: ٨. الإنسان: ٣١]. ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ﴾ [الفتح: ٢٥]

المطلب الرابع: رحمة الأنبياء في القرآن الكريم:

الأنبياء هم أرحم الخلق بالخلق، وأكثرهم دعوة إلى الخالق، والقرآن الكريم مملوء بقصص الأنبياء، وما ذاك إلا ليقتدي بهم النبي صلى الله عليه وسلم كما قال سبحانه ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٠ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

بل ليقتدي بهم أمته كما قال سبحانه ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ۝١٣ ﴾ [الشورى: ١٣].

فالله يأمر الأمة بما أمر به الأنبياء من توحيد الله والدعوة إليه وإقامة الدين.

وأبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام الذي أمرنا الله باتباعه ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٢٣ ﴾ [النحل: ١٢٣] يدعو الله بالرحمة ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٣٦ ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

ودعوة إبراهيم عليه السلام مليئة بالشفقة والرحمة، منها هو يخاطب أباه بالرحمة ويقول له ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ۝٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ۝٤٥ ﴾ [مريم: ٤٤-٤٥] ترغيباً له.

ويقول سبحانه عن إبراهيم ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ۝٧٤ ﴾ [هود: ٧٤].

من رحمة الأنبياء أنهم يحببون لهم الإيمان كما أنه يجلب لهم الخير في الدنيا ترغيباً لهم ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ۝١٢ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ۝١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ۝١٤ ﴾ [نوح: ١٠-١٤] ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ۝٥٢ ﴾ [هود: ٥٢].

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٣١٠٨/٥.

ومن رحمة الأنبياء الإحسان إلى الناس ودعوتهم بأعمالهم وأخلاقهم كما يدعونهم بأقوالهم، فهذا يوسف عليه السلام وهو في السجن يتألف الناس بالإحسان إليهم، وحتى كان مرجعاً لهم ولنتأمل هذه الآية الكريم ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [يوسف: ٣٦] قال ابن عثيمين: وكان يوسف عليه السلام قد اشتهر في السجن بالجود والإحسان فصدقه الحديث وحسن السمت وكثرة والإحسان إلى أهل السجن وعيادة مرضاهم والقيام بحقوقهم.

قال القرطبي رحمه الله: كان في السجن يعزي فيه الحزين ويعود فيه المريض، ويداوي فيه الجرحى ويصلي الليل كله واستأنس من أهل السجن فكان إذا خرج الرجل من السجن رجع حتى يجلس في السجن مع يوسف عليه السلام.

وأحبه صاحب السجن فوسع عليه فيه ثم قال يا يوسف: لقد أحببتك حباً لم أحب شيئاً حبك[1].

وقد استثمر هذه الأخلاق الكريم لدعوتهم إلى الله ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص على صحابته رحمة الأنبياء بأقوامهم بل يحكيها لهم كأنهم يرونها، عن عبدالله بن مسعود قال: كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه فهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون[2].

وسيأتي ذكر الأنبياء ورحمتهم في سورة الأعراف بمشيئة الله تعالى.

المطلب الخامس: رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم[3]:

رسالة النبي صلى الله عليه وسلم طابعها وعنوانها الرحمة، كما أخبر سبحانه بيانه للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وكفى بهذه الآية بياناً للدعاة من بعده ولمن تبعه على بصيرة أن تتجلى في دعوتهم الرحمة بمن يدعوهم.

وقال سبحانه ﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ [الدخان: ١-٦]، والرحمة هو النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٨٩/٩.

(٢) رواه البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم برقم (٦٩٢٩). ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، برقم (١٧٩٢).

(٣)وفي هذا المبحث سنتوسع لنشمل الكتاب والسنة نظراً لورود صفات الرحمة في سنته صلى الله عليه وسلم.

ولنتأمل بعض الآيات الكريمة في وصف النبي صلى الله عليه وسلم.

يقول سبحانه وتعالى ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ويقول سبحانه ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٤] فهو رحمة بهم وهو من أنفسهم وهو يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم.

وها هو سبحانه وتعالى يخاطب أهل الكتاب ويدعوهم إلى الإيمان بالنبي مبيناً هدايته وبعض صفات الرحمة ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۗ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وبين الله سبحانه وتعالى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

يقول السعدي رحمه الله تعليقاً على الآية: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ من أوجب الواجبات وأهم المهمات الاقتداء بأخلاقه الكريمة ومعاملة الناس بما كان يعاملهم به صلى الله عليه وسلم من اللين وحسن الخلق والتأليف امتثالاً لأمر الله وجذباً لعباد الله لدين الله[1].

كما يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بجواب المنافقين إنه رحمة ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [التوبة: ٦١].

كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً على هداية قومه ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨] ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾ [الكهف: ٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة)[2].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، ١٥٤/١.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٣٥/١ وابن سعد في الطبقات ١٩٢/١. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٩٠).

وعن جبير بن مطعم قال: سمّي لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماء فقال: (أنا محمد وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشُر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي)[1].

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم وصيته بالرحمة:

عن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: (اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا)[2].

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله فكف الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أسامة أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله قلت كان متعوذا فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[3].

عن عبدالله بن مسعود قال: كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه فهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون[4].

يقول ابن القيم رحمه الله: تأمل حال النبي صلى الله عليه وسلم إذ ضربه قومه حتى أدموه، فجعل يمسح الدم عنه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. كيف جمع صلى الله عليه وسلم في هذه القامات أربع مقامات من الإحسان قابل به إساءتهم العظيمة له.

أحدها: عفوه عنهم. والثاني: استغفاره لهم. والثالث: اعتذار عنهم بأنهم لا يعلمون، والرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه، كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به: هذا ولدي[5].

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم النهي عن الظلم حتى مع المخالف.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن هم طاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم طاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليكم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم طاعوا لك بذلك فإياك وكرائم

---

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم (٣٥٣٢) ومسلم، كتاب الفضائل، باب في أسمائه صلى الله عليه وسلم، برقم (٦٢٥١).

(٢) رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها برقم (١٧٣١).

(٣) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد برقم (٤٢٦٩) ومسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قل لا إله إلا الله، برقم (٢٨٨).

(٤) رواه البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم، برقم (٦٩٢٩).

(٥) التفسير القيم، لابن القيم دار مكتبة الهلال، ص٦٥٤.

أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب[1].

عن أبي عبدالله الأسدي قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً فإنه ليس دونها حجاب[2]. فالنبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ينهى عن ظلم الكفار. وهذا من رحمته صلى الله عليه وسلم بهم.

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم امتناعه عن الدعاء على من عاداه وآذاه، بل وتفكره صلى الله عليه وسلم في هداية من في الأصلاب.

جاء في الصحيحين أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشدّ من يوم أحد؟ قال: (لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلّم عليّ، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا)[3].

وعن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله ادع على المشركين، قال: (إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة)[4].

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم رفقه بمخالفيه. فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: (دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليكم، قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السام واللعنة، قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله، فقلت: يا رسول الله، أولم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد قلت وعليكم)[5].

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم أمره بالتبشير والتيسير ونهيه صلى الله عليه وسلم عن التعسير والتنفير، وهذا في مقام الدعوة والتعليم، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقالهم النبي صلى الله عليه وسلم دعوه وهريقوا على بوله سجلاً من ماء، أو ذنوباً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين[6].

وعن أنس بن مالك قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا)[7].

---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى، برقم (٤٣٤٨).

(٢) رواه أحمد في المسند برقم (١٢٥٧١) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٧٦٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم أمين والملائكة في السماء آمين فوافقت إحداهما الأخر عفر له ما تقدم من ذنبه، برقم (٣٢٣١) ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين، برقم (١٧٩٥).

(٤) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والأداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، برقم (٢٥٩٩).

(٥) رواه البخاري برقم (٦٠٢٤) ومسلم برقم (٥٧٨٤).

(٦) رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد، برقم (٢٢٠).

(٧) رواه البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، برقم (٦٩) ومسلم برقم (٤٦٢٢).

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم رفقه بالشباب العصاة.

عن أبي أمامة قال: أن فتى شابا أتى النبي صلى الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه، فقال أدنه فدنا منه قريباً قال فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك؟ قال ولا الناس يحبونه لبناتهم؟ قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء)[1].

وكذلك ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم مع الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه، فقد أسلم الطفيل ابن عمرو الدوسي رضي الله عنه قبل الهجرة في مكة ثم رجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فأمر بأهل بيته، فأسلم أبوه وزوجته، ثم دعا قومه إلى الله عز وجل، فأبت عليه وعصت، وأبطئوا عليه، فجاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (إن دوسا قد عصت وأبت فادع الله عليهم فاستقبل رسول الله صلى الله عليه و سلم القبلة ورفع يديه فقال الناس هلكوا فقال اللهم اهد دوسا وائت بهم اللهم اهد دوسا وائت بهم)[2].

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم تجاوزه عن مخالفيه.

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة نجد، فلما أدركته القائلة وهو في واد كثير العضاة فنزل تحت شجرة واستظل بها وعلق سيفه فتفرق الناس في الشجر يستظلون وبينا نحن كذلك إذ دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا فإذا أعرابي بين يديه فقال: إن هذا أتاني وأنا نائم فاخترط سيفي فاستيقظت وهو قائم على رأسي مخترط صلتاً قال: من يمنعك مني؟ قلت الله. فشامه ثم قعد فهو هذا، قال ولم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم[3].

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم فرحه بإسلام الكفار.

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده فقعد عند رأسه فقال له أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم فأسلم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار[4].

المطلب السادس: رحمة الدعاة في القرآن الكريم:

بعد الحديث عن رحمة الأنبياء ورحمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو قدوتنا، وهذا بحد ذاته كاف لاقتداء

---

(١) رواه أحمد في المسند برقم (٢٢٢٦٥) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وعزاه إلى الطبراني، وقال: رجاله رجال الصحيح ١٢٩/١ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٧٠).

(٢) رواه أحمد في المسند برقم (٧٣١٣) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤٤٠/٦.

(٣) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة بني المصطلق من خزاعة، برقم (٤١٣٩).

(٤) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، برقم (١٣٥٦).

كل مسلم به صلى الله عليه وسلم، ولكن من المفيد ذكر بعض النصوص في فضل الرحمة والأمر بها، وأنها لا تختص بالأنبياء، بل هي حتى في أتباعهم.

الرحمة من الله، والرحمة يجعلها الله في قلوب من يشاء من عباده، ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحديد: ٢٧]

بل إنه سبحانه وتعالى يخبرنا أن النجاة بالتواصي بالمرحمة ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [البلد: ١١-٢٠]

والله أثنى على الخضر بالرحمة قبل العلم ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الكهف: ٦٥].

وصاحب يس وهو يدعو قومه بالرحمة والشفقة كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [يس: ٢٠-٢٧].

فتأمل الرحمة في دعوته من عدة وجوه:

أولاً: بقوله (يا قوم) يتحببهم بقرابته منهم ونصحه لهم.

ومنها أنه لا يوبخهم بالشرك، لم يقل لهم كيف تعبدون وتتخذون آلهة وهي لا تغني عنكم شيئاً، بل يجعل الأمر على نفسه ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [يس: ٢٣].

ومنها أنه يختار صفة الرحمن ترغيباً لهم ودفعهم للهداية.

ومنها رحمته بهم وشفقته عليهم مع أنهم قتلوه بالحجارة وهو يقول: ﴿قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [يس: ٢٦].

قال ابن عباس: نصح لقومه حياً وميتاً[1].

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٢/١٥.

يقول قتادة: أنه كان يقول وهم يرمونه بالحجارة: اللهم اهد قومي، اللهم اهد قومي، اللهم اهد قومي[١].

ويقول ابن مسعود: أنهم وطئوه بأرجلهم[٢].

وفي صفة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام يقول سبحانه وتعالى ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الفتح: ٢٩].

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[٣].

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (الراحمون يرحمهم الرحمن)[٤].

وعنه أيضاً قال: قال صلى الله عليه وسلم: (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)[٥]. ومن في الأرض شاملة حتى الكفار.

وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عز وجل)[٦].

عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطى على سواه)[٧].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)[٨].

عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير)[٩].

وعنه أيضاً قال: قال صلى الله عليه وسلم: (من لا يَرحم لا يرُحم)[١٠].

---

(١) رواه الترمذي برقم (١٩٢٤) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/٣٥٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦/٥٧١.

(٣) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم برقم (٦٧٥١).

(٤) رواه الترمذي برقم (١٩٢٤) وأبو داود برقم (٤٩٤٣) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢/٦٣٠.

(٥) رواه الترمذي، كتاب أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، برقم (١٩٢٤) وقال: حديث حسن صحيح.

(٦) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال، برقم (٦١٧٢).

(٧) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الرفق، برقم (٦٧٦٦).

(٨) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الرفق برقم (٦٧٦٧).

(٩) رواه الترمذي برقم (٢٠١٣) وقال حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢/٤٥٠.

(١٠) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب راحمة الناس والبهائم، برقم (٦٠١٣).

المبحث الثاني

معالم الرحمة في الدعوة إلى الله في سورة الأعراف (أنموذجاً)

سورة الأعراف هي أطول سورة مكية (٢٠٦) آية، وهي في أصلها خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في الفترة التي يدعو فيها كفار مكة إلى الإسلام، لذا هي سورة دعوية جاءت فيها قصص الأنبياء ودعوتهم إلى أقوامهم.

وجاءت مقدمة السورة ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝٤ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩ ﴾ [الأعراف: ٢-٩].

فمن رحمة الله في الآيات السابقة إرسال النبي صلى الله عليه وسلم وإنزال الكتاب، ومن رحمة الله بيان عقوبة المكذبين في الدنيا، ومن رحمته سبحانه أن يقص لنا ذلك لنتعظ ونعتبر، ومن رحمته سبحانه وتعالى بيان العاقبة الأخروية.

ومن رحمته سبحانه بيان فضله وتمكينه لنا في الأرض، وأيضاً مننه علينا التي توجب شكره ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝١٠ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝١١ ﴾ [الإسراء: ١٠-١١].

ثم تسير السورة في قصة آدم مع إبليس.

ومن رحمته بيان فضل الله علينا وعداوة الشيطان لنا الذي هو أكبر أسباب الضلال، وهو كان سبب خروج أبانا آدم من الجنة ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٢٢ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٢٣ ﴾ [الأعراف: ٢٢-٢٣].

ورحمة الله تتردد في هذه السورة.

وفي سياق السورة يناديا ربنا سبحانه وتعالى نداءات بقوله: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝٢٦ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٧ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ

قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٥-٣٥].

ينادينا ربنا سبحانه بقوله ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ ورحمة الله تظهر في هذه النداءات من خلال بيان نعم الله علينا باللباس، وان معصيته سبحانه وتعالى تنزع عنا هذا اللباس، وأن خير لباس التقوى.

والتحذير من الشيطان، وبيان خطورة القول على الله بغير علم، وبيان أن الله أوامره إنما هي بالقسط، وأن لا يأمر بالفحشاء، وإنما هو يحرم الفواحش ولا يحرم الزينة والطيبات، وأنه خالصة للمؤمنين يوم القيامة.

وفي الختام يبين أهمية اتباع الرسل وعاقبة التقوى والصلاح.

كما يعرض محاجات أهل النار بعضهم لبعض ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ ﴾ [الأعراف: ٣٨] وهذا من رحمته سبحانه وتعالى أن بين لنا مصير المكذبين، كما يعرض لمصير المؤمنين ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ ۖ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٤٢-٤٣].

فرحمة الله تتجلى في الآيات السابقة بالثناء على المؤمنين، وأنه سبحانه وتعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، وعاقبة المؤمنين وبيان فضل الله عليهم بهدايتهم.

ثم يعرض رحمة الله سبحانه وتعالى في قصة أصحاب الأعراف ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٤٩].

والمقسمون هم الكفار، أقسموا على بعض المؤمنين أو على أصحاب الأعراف ألا يدخلوا الجنة[1].

(١) انظر تفسير سورة الأعراف في: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٤٥٩/١٢). وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤٢١/٣). والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢١٤/٧) في تفسير الآية.

وتمضي الآيات الكريمة بقوله سبحانه وتعالى ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٢] فالقرآن الكريم هدى ورحمة.

ومن رحمته سبحانه وتعالى كمال ربوبيته، وأنه سبحانه وتعالى كما أنه الخالق وحده فهو الآمر وحده، ثم يدعونا سبحانه وتعالى إلى دعائه، وبين ذلك بنهينا عن الفساد، وتختتم الآيات بمستحق رحمته.

يبين الله سبحانه وتعالى عظمته وأن كل شيء بيده بلفظ الربوبية، ثم يدعو سبحانه إلى دعائه ورجاء رحمته ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٤-٥٦].

كما يعرف بنفسه سبحانه وتعالى وبرحمته بإنزال الغيث ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٧-٥٨] وهو مثل للمؤمن والكافر، فهو سبحانه وتعالى ينزل الغيث، وهنا يضرب مثلين الأول للبعث وإخراج الموتى كإخراج الزرع، والآخر للمؤمنين والكافرين في الإفادة من القرآن الكريم، فالمؤمنون كالأرض الطيبة التي تستنبت من الغيث والكافر كالأرض السبخة.

وهذه الأمثال من رحمة الله بعباده وبيان الحق لهم، وهي مقدمة لقصص الأنبياء.

ثم تمضي الآيات الكريمات إلى قصص الأنبياء، وقد ساق الله القصص القرآني للأنبياء للعبرة والاقتداء ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

فبدأ بقصة نوح عليه السلام ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٩-٦٤].

نتأمل معالم الرحمة في دعوة نوح عليه السلام، فهو يخاطب قومه ويتلطفهم يقول ﴿ **قَالَ يَٰقَوْمِ** ﴾ وأعظم الرحمة أمره لهم بالخير، وأعظمه عبادة الله وحده، وبيانه عليه السلام، أن ليس لهم إله غيره، وبين مظاهر رحمة نبي الله

بهم، وخوفه عليهم من عذاب الله. ومع ذلك كانت إجابتهم جانبت الأدب إذ يصفونه بالضلال المبين وكان رده عليهم مظهرا آخر من مظاهر الرحمة، حيث لم يجبهم بأنهم ضلال، ولو قال ذلك لكان حقاً، ولكنه بكل رحمة يستلطفهم بقوله ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ ﴾.

ثم يبين أن دافعه إبلاغ الرسالة، ونصيحته لهم، كما بين لهم خطأ تعجبهم أن يأتيهم ذكر من ربهم على رجل منهم، فهو ذكر من ربهم وعلى رجل منهم ليس من غيرهم ومقصوده إنذارهم وحصول التقوى منهم وحصول الرحمة لهم فمقصود دعوته الرحمة بقومه.

ونتأمل قوله سبحانه وتعالى ﴿وَأَنصَحُ لَكُمۡ﴾ أي أقصد صلاحكم بإخلاص وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على إمحاض النصيحة، وحقيقة النصح إرادة الخير لغيرك مما تريده لنفسك، أو النهاية في صدق العناية[1].

وقوله ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ ونوح عليه السلام في موضع آخر وهو يناجي ربه يقول ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ﴾ [نوح: ٧] فمقصود دعوته الرحمة بقومه.

وفي قصة عاد ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٦٦ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۡۜطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٦٩ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠ قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٧١ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٧٢ ﴾ [الأعراف: ٦٥-٧٢]. نلاحظ رحمة هود عليه السلام على قومه.

فنلاحظ قول المولى عز وجل ﴿أَخَاهُمۡ هُودٗا﴾ وهذا له مدلوله من الاستعطاف والنصح، ثم هو يدعوهم إلى الخير وأعظمه عبادة الله وحده ويحثهم على التقوى، كما بين لهم دوافعه وهو قيامه بالبلاغ والنصيحة لقومه.

نفس المشهد يتكرر، يقولون له ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ﴾ وهو يرد عليهم بكل أدب ورحمة ﴿ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ كما بين لهم الباعث له البلاغ والنصيحة ﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٞ﴾ ويرغبهم بالإيمان، ويذكرهم بنعم الله عليهم ﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

(١) انظر مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ٥٧٧/١.

وفي قصة ثمود تتكرر كثير من المشاهد يقول سبحانه ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٧٣-٧٤].

نلاحظ تكرار كثير مما سبق من استعطافهم والنصح لهم، ونلاحظ أيضاً مظاهر أخرى للرحمة بذكر البينات التي أعطاها الله إياه ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ﴾ ويخوفهم من عذاب الله وما ذاك إلا رحمة بهم.

وهو يذكرهم أيضاً بنعم الله عليهم ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ وبعد نزول العذاب عليهم يخاطبهم نبيهم صالح بكل رحمة وشفقة ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٧٩].

وفي قصة لوط عليه السلام، يخاطب قومه بكل شفقة ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٠].

وفي قصة مدين ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٥-٨٦].

سماه الله ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ وهو يبين لهم أن ما يأمرهم به هو خير لهم ويذكرهم بنعم الله عليهم، ويخوفهم من عاقبة المفسدين.

وفي النهاية، وبعد نزول العذاب ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٣].

ومن رحمته أنه يصيب الأمم بالبلاء حتى يعودوا إلى ربهم ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٤]، قال الطبري رحمه الله: هو البؤس وشظف المعيشة وضيقها، والضراء الضر وسوء الحال في أسباب دنياهم، وقال القرطبي رحمه الله: البأساء في الأموال، والضراء في الأبدان.

قال الطبري رحمه الله: فعلنا ذلك بهم ليتضرعوا إلى ربهم ويستكينوا إليه وينيبوا بالإقلاع عن كفرهم والتوبة من تكذيب أنبيائهم.

فهذا البلاء هو من الرحمة ليعودوا إلى ربهم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة: ٢١].

ومن ذلك ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٠] قال القرطبي رحمه الله: ليتعظوا وترق قلوبهم.

وفي قصة موسى من معالم الرحمة.

فمن رحمة الله ما أعطى الله موسى من بينات ﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٠٥] وبعد أن رأى قومه يعبدون العجل، موسى نفسه يتعرض لرحمة الله ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥١].

كما أن الرب بعد أن توعد عبدة العجل فإنه سبحانه بين رحمته وقبول توبة عباده، ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٣].

وبين الله سبحانه ما في الألواح من رحمة وهدى ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

وها هي الرحمة تتكرر مرة أخرى في دعوة موسى بعد أن أخذت قومه الرجفة ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

ونتأمل دعاء موسى عليه السلام وخطابه لله سبحانه وتعالى، وجوابه سبحانه وتعالى، ونتأمل ما فيها من تكرار الرحمة ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٥] ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧].

فلنتأمل هذه العبارة العظيمة ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾. قال البغوي رحمه الله: أي عمت كل شيء[1]. وقال الحسن وقتادة: وسعت رحمته في الدنيا البر والفاجر، وهي يوم القيامة للذين اتقوا خاصة[2].

قال ابن كثير في تفسير ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ الآية عظيمة الشمول والعموم[3].

وقال السعدي رحمه الله: وسعت كل شيء من العالم العلوي والسفلي، والبر والفاجر، والمؤمن والكافر، فلا مخلوق إلا وصت إليه رحمة الله، وغمره فضله وإحسانه، لكن الرحمة الخاصة المقتضية لسعادة الدنيا والآخرة ليست لكل أحد ولهذا قال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[4].

ثم أثنى سبحانه وتعالى على المتبعين للنبي صلى الله عليه وسلم وهي بشارة به، وبيان أنهم يستحقون رحمة الله.

وفي قصة أصحاب السبت الذين عصوا الله بالصيد في يوم السبت فقامت طائفة بنصحهم، وهناك طائفة ثالثة قالت للناصحين اتركوهم إنهم مهلكون، فأثنى الله على أولئك الناصحون وبين نجاتهم ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف: ١٦٤-١٦٥].

فنأمل مظاهر الرحمة في نصح الناصحين في قولهم (ولعلهم يتقون) قال ابن كثير: "ولعل بهذا الإنكار يتقون ما هم فيه ويتركونه ويرجعون إلى الله تائبين، فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم"[5].

ومع ذكر القرآن مخازي بني إسرائيل وعصيانهم فإن الله يفتح باب الرحمة ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦٧].

ومن رحمته سبحانه وتعالى دلالته لهم عليه بالنظر في حال النبي صلى الله عليه وسلم، وأيضاً في ملكوت السموات والأرض وتخويفهم من اقتراب أجلهم ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ٢/٢٣٨.

(٢) معالم التنزيل، البغوي، ٢/٢٣٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/٤٨١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ١/٣٠٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/٤٩٤.

يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٤-١٨٥].

وكذلك بيان حال هؤلاء الشركات وضعفهم وعجزهم ليوحدوا الله سبحانه وتعالى، بعد أن ذكر سبحانه إشراك الأولين به في خلقه مع أنه هو الذي خلقهم ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٩-١٩٥].

فلنتأمل هذا البيان الشافي الكافي من ربنا سبحانه في ضعف وعجز الشركاء.

ثم مظاهر الهداية بالموعظة والتذكير ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وفي ختام السورة تتجلى الرحمة في مواقع منها توجيه للنبي صلى الله عليه وسلم في دعوته ومكابدته للكفار المعرضين ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

قال الطبري رحمه الله: أمر بذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم في المشركين ورجح أنه غير منسوخ فيمن لم يؤمر بقتالهم(١).

وقوله سبحانه ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الجاثية: آية: ٢٠] ثم الرحمة في استماع القرآن ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

(١) جامع البيان، الطبري، ٣٢٩/١٣.

الخاتمة

فإني أشير إلى أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي هذا:

١- أهمية الدعوة إلى الله في إقامة الدين.

٢- وجوب الدعوة على هذه الأمة وفضلها على أفرادها.

٣- الرحمة من أهم صفات الله تعالى.

٤- القرآن الكريم وبعض كتب السماء رحمة وهدى.

٥- دعوة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كانت رحمة وبالرحمة، لا سيما دعوة النبي صلى الله عليه وسلم طابعها الرحمة (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).

٦- أهمية الرحمة في الدعوة إلى الله تعالى.

٧- تبين سورة الأعراف ظهور الرحمة في آيات السورة ومعانيها وقصص الأنبياء.

التوصيات:

كما نوصي في ختام هذا البحث بما يلي:

١- العناية بالرحمة في المؤتمرات العلمية والبحوث والكتب والندوات الثقافية لتثقيف أمتنا بهذه المعاني السامية في الاوساط الثقافية.

٢- أهمية غرس الرحمة من قبل المعلمين والمربين والآباء في نفوس النشء.

٣- ضرورة عناية الدعاة بخلق الرحمة في دعوتهم لما لها من أهمية بالغة حث عليها الشرع المطهر.

٤- ضرورة عناية وسائل الإعلام بموضوع الرحمة في الأمة.

٥- أهمية عناية المساجد في الخطب والدروس بغرس الرحمة وتوجيه المسلمين لها.

المراجع والمصادر

١- القرآن الكريم.

٢- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٢هـ.

٣- تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، دار الأندلس للباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٠٥هـ.

٤- التفسير القيم، لابن القيم الجوزية، دار مكتبة الهلال،.

٥- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

٦- تهذيب اللغة، أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٣٧٨هـ.

٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي .

٨- جامع البيان، عن تأويل آي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٩- الجامع لأحكام القرآن، أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٦.

١٠- الدعوة إلى الله، توفيق الواعي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ.

١١- الرحمة وأثرها في الدعوة إلى الله، حمزة سليمان الطيار، موقع طريق الإسلام،

١٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، د. ط. ت.

١٣- سنن أبو داود، أبو داود السجستاني، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

١٤- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤٢٠هـ.

١٥- صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ.

١٦- صحيح مسلم، مسلم بن حجاج النيسابوري، تحقيق: نظر بن محمد الفارابي أبو قتيبة، دار طيبة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

١٧- الصراع بين الحق والباطل كما جاء في سورة الأعراف، عادل محمد صالح، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.

١٨- الطبقات الكبرى، ابن سعد .

١٩- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، لبنان الطبعة الثالثة عشر، ١٤٠٧هـ.
٢٠- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.
٢١- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
٢٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ
٢٣- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب الشيخ عبدالرحمن بن قاسم، .
٢٤- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبدالله بن أحمد النسفي
٢٥- المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ
٢٦- مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر، د. ط. ت.
٢٧- معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ
٢٨- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.
٢٩- مفردات اللغة، الراغب الأصفهاني، .
٣٠- منهج الدعوة إلى الله في القرآن والسنة، راجح السباتين، من موقعه على الإنترنت.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٢
أهمية البحث	٢
هدف البحث	٢
منهج البحث	٢
الدراسات السابقة	٢
مشكلة البحث	٢
خطة البحث	٣
تمهيد: في معاني الرحمة والدعوة إلى الله	٤
المبحث الأول: معالم الرحمة في الدعوة إلى الله في القرآن الكريم	٧
المطلب الأول: الرحمة في صفات الله في القرآن الكريم	٧
المطلب الثاني: الرحمة في ترغيب المخالفين في القرآن	٩
المطلب الثالث: وصف القرآن الكريم وبعض الكتب السماوية بالرحمة والهداية في القرآن الكريم	١٠
المطلب الرابع: رحمة الأنبياء في القرآن الكريم	١٢
المطلب الخامس: رحمة النبي صلى الله عليه وسلم	١٤
المطلب السادس: رحمة الدعاة في القرآن الكريم	١٨
المبحث الثاني: معالم الرحمة في الدعوة إلى الله في سورة الأعراف (أنموذجاً)	٢١
الخاتمة	٣٠
التوصيات	٣٠
المراجع والمصادر	٣١
الفهرس	٣٣